حلمي يأسره. فحلمي يستطيع ان يهديء من الام يقظه اوري، الى ان يأسره كرهينة، ولا يرفض اوري ذلك، بل يتعاون معه ويستمتع بذلك.

ان لجوء اوري الى حلمي يوضح له الكثير من الامور المبهمة. فها هو يعترف: «اردت كثيراً ان ألمسَك، ثانية، باليد؛ لكن هذا سيكون صعباً عليك، ولتفكر يا حلمي بأننا لسنا مذنبين اطلاقاً بما سيحدث. لا انت ولا أنا؛ لأننا نحن ـ اصغ لي ـ مثل عبدين ـ صديقين يرغمونهما على ان يقتل احدهما الآخر في كالسيوم روما أمام أنظار جمهور متوحش وقاس، كما في ' بن حور ' ، ونحن نتصافح بحب قبل النزال المؤكد، وحتى نشفق قليلاً على اولئك القساة الذين يصرخون حولنا ويريدون دماً. لكني لن ألمسك يا حلمي. انا لا» (ص ١٢٥).

ان ثمن تعاون اوري مع حلمي هو اضطرار الاول للكذب. وهذا التنازل، الذي قد يبدو، للوهلة، هامشياً، هو هام: فلقد تحول وتغير عالم اوري البريء. وتمزقه بين العالمين (عالمه الخاص والاحتلال) قاده، في النهاية، الى ان يختار عالماً ابوياً غريباً وساحراً. ومع ذلك فضله على الكذب الجاد (الاحتلال)، لان الكذب مع حلمي هو غير الكذب الذي كان يعيشه فيما سبق. ويصير كل شيء، بالنسبة الى اوري، غير صادق وفي عداد «كان يا ما كان».

كاتسمان؛ الخوف من الشعور والنزعة التدميرية

ثمة فرق كبير بين اوري وكاتسمان. فـ «كاتسمان لم يكن يضطرب هناك مثل اوري. لقد رأى في حياته الكثير من الاهوال والموت مكنته من ان لا يتأثر كثيراً. المصائب بالنسبة اليه تسريع لكل العمليات العادية، مثلما يحدث في فيلم. لم يكن كل شيء خاصاً في الجزئيات البسيطة للكارثة. ودائماً مادت الارض تحت قدمي كاتسمان، وطول الوقت قتل الناس الواحد منهم الآخر بجانبه، وقليلون من شعروا مثله بأن الاشياء تحدث ببطء شديد، وبنعومة» (ص ٢٢).

هذه الفقرة لا تدلّل على الفرق الجوهري بين كاتسمان واروي، وانما توحي بالعلاقة النفسية المرضية القائمة بين الاثنين (فكاتسمان بحاجة الى اوري، وبالذات لبراءته). كاتسمان، من ناحية، هو صديق لاوري، ويقيم علاقة غرامية سرية مع شوش، زوجة اوري. وبهذا ـ في ظرف الاحتلال وعلى ارضيته ـ تنشأ العلاقة وتتوزع بين الثلاثة على النحو المذكور. فكاتسمان، نتيجة لمخاوفه الدائمة، لا يجد راحة الّا مع المرأة.

كاتسمان هو احد الناجين من كارثة النازية في اوروبا. فلقد اختبأ مع والديه في زمن الحرب في بئر. لذا، «استمر كاتسمان في حمل البئر في داخله طيلة حياته» (ص ٢٠).

نتيجة لذلك، تعقّدت حياته واصبحت نزعته التدميرية عالية: «كان في كاتسمان سيسموغراف حساس لقياس عنف الامكنة التي مكث فيها. كان من الممكن ان يحس وفي خارج البلاد ـ بعد دقائق معدودة من وصوله لاية مدينة ـ ما هي قوة العنف المضغوطة فيها» (ص ١٢٧).

ان كاتسمان يعمل حاكماً عسكرياً في الضفة، ويحمل رعبه معه اينما حل. ولم يكن اختياره لاوري مساعداً له مصادفة، انما لتدمير براءته في خضم ما يحدث. وأوري لم يكن اكثر من وسيط انساني بين كاتسمان وبين العالم الذي يحتله ويمارس قوته ونفوذه عليه.

لقد ابدى كاتسمان اعجابه الشديد بوزير الدفاع موشي دايان (ص ١٢٩)، على الرغم من انه لم تكن له آراء سياسية واضحة. فهو «لا يكره العرب الذين يعيشون بجانبه؛ كما انه لا يحبهم